

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٨٢ : خ ١ - التوبة ، خ ٢ - فوائد الإرضاع الطبيعي .

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠٢-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له ولينا مرشدًا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر . وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنـه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الدنيا دار بلاء و انقطاع :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا عرضت لك الدنيا فاذكر الموت ، وإذا وقعت في الذنب فاذكر التوبة ، وإذا كسبت المال فاذكر الحساب ، وإذا جلست إلى الطعام فاذكر الجائع ، وإذا دعنك نفسك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك الذي سلطك عليهم ، ولو شاء لسلطهم عليك ، وإذا نزل بك بلاء فاستعن بلا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا مرضت فعالج نفسك بالصدقة ، وإذا أصابتك مصيبةً فقل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خطب في بعض خطبه ، فقال : ((أيها الناس إنه لا خير في العيش إلا لعالمٍ ناطق ، أو مستمعٍ واعٍ ، أيها الناس إنكم في زمان هدنة ، وإن السير بكم لسريع ، وقدرأيتم الليل والنهر ببيان كل جديد ويقربان كل بعيد ، وببيان بكل موعود ، فقال له المقادد : يا رسول الله وما الهدنة ؟ فقال : دار بلاء ، وانقطاع - تعريف الدنيا : دار بلاء وانقطاع - فإذا التبست عليكم الأمور قطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فإنه شافع مشفع ، وصادقٌ مصدقٌ ، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر)) ، ومن حكم به عدل))

[جامع الأحاديث عن علي]

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين ، الطاهرين ، الهداة ، المهديين ، الذين كانوا علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء .

يقول سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه : " من حمل ذنبه على ربه فقد فجر ، إن الله تعالى لا يطاع استكرهاً ، ولا يعصى بغلبة ، فإن عمل الناس بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، وإن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أجبرهم ، ولو أجبرهم على الطاعة لأسقط الثواب ، ولو أجبرهم على المعصية لأسقط العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزاً في القدرة ، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم ، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم " .

اللهم يا أكرم الأكرمين ، تب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واغفر ذنبنا ، واقبل توبتنا ، وفك أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا ، واحتم بالصالحات أعمالنا .

معرفة الله عز وجل أثمن ما في الدنيا :

أيها الأخوة الأكارم : آية قرآنية وفدت عندها ملياً ، هذه الآية يقول الله سبحانه وتعالى :
﴿يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدِهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الدِّكْرِ بَعْدِ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلنِّسَاءِ خَذُولاً * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

[سورة الفرقان : ٢٧-٣٠]

حينما يأتي يوم القيمة على ماذا يندم الإنسان ؟ يندم على أثمن شيء في الدنيا ، لم يقل : يا ليتي اشتريت بيتاً فخماً ، لا يقول الظالم يوم القيمة : يا ليتي تزوجت فلانة بنت فلان ، لا يقول الظالم يوم القيمة : يا ليت كان عندي كذا ، وكذا من المال ، الذي يقوله هو أثمن ما في الدنيا :

﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدِهِ﴾

[سورة الفرقان : ٢٧]

دققوا جيداً فيما سيقول ، هذا الذي سيقوله هو أثمن ما في حياتكم الدنيا :

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

لم يقل الله عز وجل يا ليتي اتخذت إلى الله سبيلاً :

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان : ٢٧]

لأنه لا سبيل إلى الله عز وجل إلا بصحبة دليل ، بصحبة عارف بالله ، بصحبة مرشد إلى الله عز وجل ،

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

ولم يقل يا ليتي اتخذت سبيلاً مع الرسول ، لذلك قال علماء الأصول : إن العلم الشريف لا يؤخذ إلا عن الرجال ، لا يؤخذ عن الكتب وحدها ، العلم في الصدور ، وليس في السطور .

﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدِهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان : ٢٧]

أثمن ما في الدنيا أن تعرف الله عز وجل ، أثمن ما في الدنيا أن تتخذ إليه سبيلاً، أثمن ما في الدنيا أن تصبر نفسك مع الذين يخشون ربهم ، أثمن ما في الدنيا أن تكون مع الصادقين ، أثمن ما في الدنيا أن تكون متعلماً ، كن عالماً ، أو متعلمًا ، أو مستمعاً ، أو محباً . سيدنا علي قال : " يا كميل ، الناس ثلاثة ؛ عالمٌ ربانِي ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمجٌ رعاع ، أتباع كل ناعق ، لم يستطعوا بنور العلم ، ولم يلحوظوا إلى ركن وثيق ، فاحذر يا كميل أن تكون منهم " إذا ذهبت إلى بلد ، وعدت منه ، فأصابك ندم شديد ، تندم على ماذا؟ على أثمن ما في هذا البلد ، يا ليتي اشتريت هذه الحاجة ، ثمينة جداً وسعرها معتدل جداً ، إذا جئت إلى الدنيا ، وخرجت منها ما هو أثمن شيء فيها ؟

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

مهما يكن غنياً ، مهما يكن قوياً ، مهما يكن صحيحاً ،

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

أربعة أشياء ما لم تكن عندك فأنت في خسارة كائناً من تكون ، أنت في خسارة محققة .

﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتِنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان : ٢٧]

يا ليتي حضرت مجالس العلم ، يا ليتي تعرفت على الله عز وجل ، يا ليتي عرفت الحلال والحرام ، فتركت الحرام واتبعت الحلال ، يا ليتي عرفت الحق والباطل ، فتركت الباطل واتبعت الحق ، ليتي اتخذت مع الرسول سبيلاً .

مصاحبة إنسان يبيح لك المعاصي شر ما في الدنيا :

وما هو شر ما في الدنيا ؟ يا ويلتي ليتي لم أتخاذل خليلاً . أن تصحب صاحباً بذلك على طريق جهنم ، أن تصحب صاحباً يحبك بالحرام ، أن تصحب صاحباً يزهدك بالآخرة ، أن تصحب صاحباً يبيح لك المعاصي ، أن تصحب صاحباً يغريك أن تخالف أمر الله عز وجل :

﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتِنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان : ٢٨]

اتخذته خليلاً ، وصاحبًا ، وصدقته ، واتبعت ما أمرني به ، فأهلكني ، وأرداه .

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدُوكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَلَا خَلَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُنِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا﴾

[سورة إبراهيم : ٢٢]

﴿يَا وَيَلَّتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الدِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾

[سورة الفرقان : ٢٩-٢٨]

يخذله ، يشمت به ، يزاود عليه .

﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخٍ إِنَّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكُتُمُونِ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[سورة إبراهيم : ٢٢]

ما من شيء أشد على النفس من شماتة العدو ، وألد أعداء الإنسان الشيطان ، وسوف يقف على رؤوس الخلق ، ليشمّت بكل من أضلهم ، وكل من أغواه ، وكل من أرداه ، ويقول : إن الله وعدكم وعد الحق وهذه هي الجنة والنار ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوّموا أنفسكم .

كيفية هجر القرآن الكريم :

ثم قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾

وقف العلماء عند هذه الكلمة ، ففهموها على مستويات عدة ، فقال بعضهم : إن هجره يعني هجر سماعه ، لا يحب أن يسمعه ، ولا أن يقرأه ، ولا أن يستمع إلى تفسيره ، ولا أن يدقق فيه ، هجر سماع ، وقراءة . إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً .

وقال بعضهم : إن هجر القرآن يعني شيئاً آخر ، إن قومي هجروا العمل به ، حياتهم في واد ، وأحكام كتابهم في واد آخر ، لا يطبقونه في زواجهم ، ولا في تجارتهم ، ولا في بيئهم ، ولا في شرائهم ، ولا في علاقاتهم ، ولا في عبادتهم . هجره يعني هجر سماعه ، أو هجر تلاوته ، وهجره يعني هجر العمل به ، إنهم لا يقفون عند حلاله ، ولا ينتهيون عن حرامه ، إنهم نبذوه وراء ظهورهم .

والمعنى الثالث : هو هجر تحكيمه ، والاحتکام إليه ، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٦]

إذا قضى الله ورسوله أمراً ، إذا قال الله عز وجل : يمحق الله الربا . هذا أمره في الربا لا خيار له ، لا يتزدد ، لا يقع في حيرة ، لا يقع في صراع ، لا يقول : والله أنا محترم ماذا أفعل ؟ ما دام حكم الله واضحًا ، هذه الحيرة حيرة شك لا حيرة إيمان .

﴿ لِلَّقُلُّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْقَظُوا فُرُوجُهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

[سورة النور : ٣٠]

هذا حكم الله في النظر إلى النساء ، والله محترم أين أذهب ببصري في الطريق ؟

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

[سورة الأحزاب : ٣٦]

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة النساء : ١٩]

هذا قضاء الله في معاملة الزوجة ، هذا الذي يؤذى زوجته من أجل أن تتنازل له عن مهرها :
﴿فِإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيْخٌ بِإِحْسَانٍ﴾

[سورة البقرة : ٢٢٩]

هجر القرآن الكريم ، هجر تحكيمه ، وهجر الاحتكام إليه ، في أمور الحياة كلها. وهناك شيء آخر فهمه العلماء من هجر القرآن الكريم ألا وهو هجر تدبره :
﴿أَفَلَا يَتَبَرَّوْنَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد : ٢٤]

يقرأ هكذا من دون أن يفهم ، من دون أن يقف عند حكمه ، ومتشابهه ، من دون أن يقف عند آياته الدالة على عظمته ، من دون أن يقف عند أخباره ، يقرأ هكذا لا يتدبّره ، يقول : هذا القرآن بحر من وقع فيه غرق ، لا يا أخي !

﴿أَفَلَا يَتَبَرَّوْنَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد : ٢٤]

وهناك شيء آخر فهمه العلماء من هجر القرآن الكريم ، ألا وهو هجر الاستشفاء به في الأمراض النفسية ، الأمراض النفسية هي أعراض لمرض واحد ، وهو البعد عن الله عز وجل ، الكبر من أعراض القطيعة والبعد ، والأثرة من أعراض البعد ، والترفع عن الناس من أعراض البعد ، والبخل من أعراض البعد ، والحدق من أعراض البعد والبغضاء ، والكراهية من أعراض البعد ، فلو اتصلت بالله عز وجل لشفى نفسك من كل أمراضها . هذه هي صبغة الله عز وجل ، ومن أحسن من الله صبغة ، فترك سماعه ، وترك العمل به ، وترك تحكيمه ، وترك تدبره ، وترك الاستشفاء به ، هذه المعاني كلها تعنيها كلمة :

﴿أَفَلَا يَتَبَرَّوْنَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد : ٢٤]

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

[سورة الفرقان : ٣٠]

العلم أصل السعادة في الدنيا والآخرة :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ لو علّقتم القرآن في بيوتكم ، لو زينتم به غرف استقبالكم ، لو وضعتموه في مركباتكم ، لو وضعتموه في جيوبكم ، لو تزينتم بزيه . العبرة تطبيقه ، القرآن وصفة إلهية ، لو قرأت الوصفة الطبية هل تشفى من مرضك ؟ لو قرأت هذه الوصفة ، وفهمتها هل تشفى ؟ لو حفظتها هل تشفى ؟ وصفة إلهية ، لا أقول لك لا تقرأها ، لكن قراءتها وحدها لا تغريك عن

الشفاء شيئاً ، لا بد من أن تتجرب الدواء ، لا بد من تطبيق ما في كتاب الله ، ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه .

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الإمام الغزالى رضي الله عنه له كلمة في العلم تتصل في هذا الموضوع - دققوا جيداً - هو الحقيقة الكبرى والوحيدة في هذا الكون ، ليس في الكون إلا الله، وإن العمل الإنساني الوحيد المجد ي يقوم على تحصيل علم ، هو في الواقع أساس العمل الموصى إلى الله عز وجل ، أي أثمن ما في الحياة الدنيا أن تتعرف على الله عز وجل ، أن تعرفه لتعرف كيف تعمل من أجله ، فإذا عملت من أجله سعدت إلى الأبد ، هذا هو كل ما في الدنيا ، والعلم - كما يقول الإمام الغزالى رضي الله عنه - فضيلة في ذاته على الإطلاق قال تعالى :

﴿قُلْ هُنَّ مُسْتَوِيُّ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر : ٩]

يعلمون ماذا ؟ يعلمون ، ألغى الله المفعول به ، وأطلق الفعل ، وجعله في موضع الفعل اللازم ، ليكون العلم في حد ذاته فضيلة على الإطلاق :

﴿قُلْ هُنَّ مُسْتَوِيُّ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر : ٩]

ورتبة العلم أعلى الرتب ، والعلم فضيلة في ذاته على الإطلاق من غير إضافة ، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي ، فالسعادة الأبدية أفضل وسيلة إليها ، بل لن تصل إليها إلا بالعلم ، والعمل ، ولا يتوصل للعمل إلا بالعلم ، بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا ، والآخرة هو العلم ، فهو إذاً أفضل الأعمال على الإطلاق ، ما من عمل أجدى وأنفع من أن تتعرف إلى الله عز وجل ، لابد من حضور مجالس العلم ، لابد من فهم كتاب الله ، لابد من فهم سنة رسول الله ، لابد من فهم أحكام الفقه ، لابد من أن يكون عملك منطبقاً على المنهج الذي رسمه الله لنا ، من أجل أن تصل إلى دار السلام ، ودار السلام لا موت فيها ، ولا حزن ، والله يدعو إلى دار السلام . قال الله في الحديث القديسي :

((أعددت لعبادتي مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

فالعلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون ، والعمل فرض عين على كل مسلم ، قد يكون علم الطب فرض كفاية ، قد يكون علم الرياضيات فرض كفاية ، ولكن العلم بالله فرض عين على كل مسلم .

* * *

قصة النبي الكريم مع وفد الأزد :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد الأزد ، فعن علقة بن يزيد قال : حدثي أبي عن جدي قال : وفدت سابع سبعةٍ من قومي - انظروا إلى فصاحة أجدادكم - على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخنا عليه ، وكلمناه ، أعجبه ما رأه من سمتنا ، وزينا ، كان عليه الصلاة والسلام يقول :

((أصلحوا رحالكم ، وحسنوا لباسكم ، حتى تكونوا شامة بين الناس))

[أحمد عن قيس بن بشر]

رَأَنَا بْزِيْ حَسْنٌ ، وَسَمِّتْ حَسْنٌ ، وَقَارَ ، فَلَمَّا رَأَنَا ، وَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَكَلْمَنَا ، أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ سَمَّتَنَا ، وَزَيْنَنَا ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمْ ، قَلْنَا مُؤْمِنُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةَ ، فَنَبَسَّمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ ، فَقَالَ : إِنَّ كُلَّ قَوْلٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ ؟ - الْإِمْتِنَانُ ؛ اسْأَلُهُ مَاذِي جَعَلَكَ تَؤْمِنُ ؟ مَا دَلِيلُكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ ؟ مَا دَلِيلُكَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابُ كِتَابُ اللَّهِ ؟ حَاوِرَهُ ، أَيْقَظَ تَفْكِيرَهُ - " سَلَّهُمْ إِنْ كُلَّ قَوْلٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ ؟ قَلْنَا : خَمْسٌ عَشْرَةَ خَصْلَةَ ، خَمْسٌ مِّنْهَا أَمْرَتَنَا رَسُولُكَ أَنْ نَؤْمِنَ بِهَا ، وَخَمْسٌ مِّنْهَا أَمْرَتَنَا أَنْ نَعْمَلَ بِهَا ، وَخَمْسٌ مِّنْهَا تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةَ ، فَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ تَكُرُّهُنَا شَيْئًا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : مَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمْرَتُكُمْ بِهَا رَسُولِي ؟ قَلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْرَتَنَا رَسُولَكَ أَنْ نَؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكِتَبِهِ ، وَرَسُولِهِ ، وَالْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَقَالَ : مَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمْرَتُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوْا بِهَا ؟ قَلْنَا : أَمْرَتَنَا أَنْ نَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ نَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَنَؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَنَصُومَ رَمَضَانَ ، وَأَنْ نَحْجِ الْبَيْتَ إِنْ أَسْتَطَعْنَا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي تَخَلَّقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةَ ؟ قَلْنَا : الشَّكْرُ عَنْ الدَّرْخَاءِ - أَيْ إِذَا دَخَلْتُ إِلَى الْبَيْتِ ، لَكَ زَوْجَةٌ ، لَكَ أُولَادٌ ، فِي الْبَيْتِ طَعَامٌ ، فِي الْبَيْتِ بَعْضٌ مَا يَرِيكَ ، صَحْتَكَ طَيْبَةٌ ، قَلْ : يَا رَبَّ لَكَ الْحَمْدُ ، يَا رَبَّ لَكَ الشَّكْرُ ، عَلَى هَذِهِ النَّعْمَ ، لَوْ فَقَدَ الْإِنْسَانُ بَعْضَ أَجْهَزَتِهِ ، لَوْ تَعْطَلَتْ بَعْضَ أَجْهَزَتِهِ ، لَوْ ارْتَبَكَتْ بَعْضَ أَجْهَزَتِهِ ، وَخَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَدْفَعَ كُلَّ مَا يَمْلِكُ وَبَيْنَ أَنْ يَعُودَ هَذَا الْجَهَازُ إِلَى طَبِيعَتِهِ لَدْفَعَ كُلَّ مَا يَمْلِكُ - الشَّكْرُ عَنْ الدَّرْخَاءِ ، وَالصَّبْرُ عَنْ الْبَلَاءِ - الصَّبْرُ نَصْفُ الْإِيمَانِ ، الصَّبْرُ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسْدِ ، الرَّضَا بِمَكْرُوهِ الْقَضَاءِ أَرْفَعُ درَجَاتِ الْبَقِينِ - الصَّبْرُ عَنْ الْبَلَاءِ ، وَالرَّضَا بِمَرِّ الْقَضَاءِ ، وَالصَّدَقُ بِمَوْاطِنِ الْلَّقَاءِ ، وَتَرْكُ الشَّمَائِتَةِ بِالْأَعْدَاءِ ، هَذِهِ الْخَمْسُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ نَتَرَكَ إِحْدَاهَا تَرْكَنَاهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : حَكَمَاءُ عَلَمَاءُ كَدْتُمْ مِّنْ فَقْهِكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَنْبِيَاءً . أَعْجَبَهُ هَذَا الْكَلَامُ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ قَالَ لَهُمْ :

((وَأَنَا أَوْصِيكُمْ بِخَمْسٍ خَصَالٍ لِتَكْمِلَ عَشْرَوْنَ خَصْلَةَ ، فَلَا تَجْمِعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وَلَا تَنْافِسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدَّاً زَانُونَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ، وَعَلَيْهِ تَعْرِضُونَ ، وَارْغِبُوا فِيمَا عَلَيْهِ تَقْدِمُونَ ، وَفِيهِ تَخْلُدُونَ))

[الخطيب و ابن عساكر في تاريخه بإسناد ضعيف من حديث جابر من غير حفاظ علماء]

فانصرفوا ، وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام ، وعملوا بها . فالإنسان يلف بال柩ن ، ويوضع بالنعش ، ويقول حينما يخرج من بيته ، وأولاده وأطفاله اليتامى ي يكون من حوله: يا أهلى ، يا ولدي ، يا أبنائي ، لا تلعنكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال مما حلّ وحرم ، فأنفقته في حله وفي غير حله ، فاللهناكم ، والتبعه علىي .

أيها الأخوة الأكارم :

وكل ابن أنتى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم أنك بعدها محمول

* * *

حسابوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، من حاسب نفسه حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيمة يسيراً ، ومن حاسب نفسه في الدنيا حساباً يسيراً كان حسابه يوم القيمة حساباً عسيراً، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل إلى ما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هوها ، وتمني على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين ..

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فوائد الإرضاع الطبيعي :

أيها الأخوة الكرام : في العالم وفي معظم الدول الأجنبية شركات كبرى تصنع الحليب وتجهزه على شكل حليب جاف ، والذي يطلع على هذه المعامل يرى فيها العجب العجاب ، ولكن هذه المعامل كلها ألزمت حديثاً أن تضع على كل إعلان لبضاعتها في أي مكان ، وعن طريق أية وسيلة العباره التالية : لا شيء يفوق حليب الأم في تغذية الطفل وحمائه من الأمراض . قلت : سبحان الله إن التجهيزات والخبرات التي بُنلت من أجل تصنيع هذا الحليب فوق حد التصور ، ومع ذلك لم يستطع الإنسان حتى الآن أن يرفع مستوى تجهيزه للحليب كمستوى حليب الأم . لابد في كل إعلان من أن يكتب في ذيله : حليب الأم لا شيء يفوقه ، وهو أجدى وأنفع للطفل من أي حليب آخر .

وقدت على مقالة في موضوع حليب الأم ، فقرأت فيها أن في حليب الأم مواد نوعية يصعب تصورها ، كما يصعب تقديرها ، وأن الهوة واسعة جداً بين الإرضاع الوالدي ، والإرضاع الصناعي ، وإن الإرضاع الوالدي آمن طرق التغذية للأطفال ، لأن في حليب الأم مواد مضادة

للتهابات المعاوية والتنفسية ، التهاب الأمعاء المزمن ، والتهاب القصبات أكثره بسبب الإرضاع الصناعي . وفي حليب الأم مواد تمنع التصاق الجراثيم بمخاطية الأمعاء . وفي حليب الأم مواد حالة للجراثيم ، وفي حليب الأم كريات بيض مزودة بمضادات حيوية تقي أمراض الكلية ، والزحار ، والشلل ، والكراز . أي أن مناعة الأم كلها في حليب الأم .

في حليب الأم مواد حامضية تقتل الجراثيم في الأمعاء . أحصيت نسبة الوفيات عند الأطفال ، فكانت نسبة الوفيات في الأطفال الذين يرضعون إرضاعاً صناعياً ثلاثة أمثال عن نسبتها في الإرضاع الطبيعي . وقد اكتشف العلماء أن الآفات التي تظهر في الإنسان في وقت مبكر في حياته كتصلب الشرايين ، والآفات القلبية ، ومرض السكري ، والبدانة بسبب الإرضاع الصناعي ، وإن الإرضاع الوالدي يقي من سرطان الثدي عند الأم ، وبقي من الموت المفاجئ . وإن حليب الأم جاهز في أعلى درجات الجاهزية ، جاهز بالحرارة المطلوبة ، فهو بارد صيفاً ، ساخن شتاءً، جاهز بالتعقيم ، فهو خال من الجراثيم ، لا يحتاج إلى غلي مسبق ، ثم إلى تبريد ، يقي من سوء التغذية ، يقي من الأمراض المعدية ، سهل الهضم ، يهضم في ثلث الوقت الذي يستغرقه طيب الإرضاع الصناعي . سهل التحضير ، كيف يُحضر ؟ يُحضر بطريقة واحدة ، أن تضع الأم ابنها على ثديها .

سهل التحضير ليلاً ، وفي السفر ، يقي الأم الأورام الخبيثة ، الفطام السريع يحدث رضاً نفسياً ، وانحرافات سلوكية . فالله سبحانه وتعالى نبهنا إلى أن الإرضاع يُحسن أن يكون حولين كاملين، لئلا يحدث رضاً عاطفي ، ورضاً نفسياً ، وانحرافات سلوكية .

قال تعالى :

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًاً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدِيَّاً النَّجْدَيْنِ﴾

[سورة البلد : ٨-١٠]

قال بعض المفسرين النجدان هما النهدان ثدياً أمه ، هذه هدية الله عز وجل .

الدعاء :

اللهم اهدا فينا هديت ، وعافنا فيما عافت ، وتولنا فيما توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من وليت ، ولا يعز من عاديت ، تبارك ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك .

والحمد لله رب العالمين